تدهور وسقوط النظام الجمهوري

كان على الدولة في روما بعد نجاحها وانتصارها العسكري ان تنصرف الى الاجراءات الازمة لتنظيم المقاطعات الجديدة التي اصبحت خاضعة الى مركز الدولة في روما٠ فاتجهت روما سياستين :

- **سياسة الالتحاق والضم المباشر**
- **سياسة التحالف**
-

الا ان المقاطعات الملحقة بروما تميزت كل منها بطابعها ومشاكلها الخاصة ٠وكانت هذه المقاطعات تشترك جميعها في فقدان حريتها واستقلالها لان السلطة الفعلية في ادارة هذه المقاطعات كانت بايدي حكام رومانيين يمثلون السلطة الادارية والقضائية والعسكرية ٠وكان على المقاطعات ان تقدم الى الحكومة الرومانية جميع الموارد المالية المترتبة عليها مع تقدبم النفقات اللازمة لقوات الجيش الرومان المهيمنيين على المقاطعة ٠ومع ذلك كان الحكام الرومان في المقاطعات مزودين بسلطات وصلاحيات مطلقة لايقيدها قانون او نظام فكانت المقاطعات الملقة بروما تدفع الضرائب للشعب الروماني بصفته صاحب الحق في تلك البلاد فكانت الفوضى وكان الظلم يعمان المقاطعة نتيجة تعسف الحكام الرومان بحيث ان الحاكم الروماني ينظر الى المقاطعة وكانها منجم يدر عليه الثروة الدائمة ولا يجد الحاكم ضيرا في ان يستغل السلطات الممنوحة له بما فيها عقوبة السجن والموت لتحقيق اغراضه الشخصية بل انه في كثير من الاحيان يتجاوز سلطاته وصلاحياته الممنوحة له من قبل مجلس الشيوخ لذلك كانت الشكاوي التي يرفعها ابناء المقاطعات على تصرفات الحكام مكتوب لها الاخفاق لان حكام المقاطعات قد اشتروا مناصبهم بالرشاوي٠

لذلك عمدت روما في تطبيق سياسة الاستعمار بشكل فعلي واصبحت بعد الانتصار امام مسؤليات كبيرةلم تكن تحسب لها حساب وخصوصا في مناطق البحر المتوسط الشرقية هذا الى جانب مجابهة الاقوام البربرية في اوربا وافريقيا وظهور قوة جديدة منافسة هي الدولة الفارسية٠

لذلك نرى ان اجهزة الدولة اصبحت عاجزة عن القيام بهذه المسؤوليات

الجسام وخاصة ان الوحدة الوطنية في ايطاليا لم تكن ثابتة الاركان واصبحت الصراعات الاهلية من القوة بحيث زعزعت اركان الدولة من الداخل فكانت الدولة الرومانية عاجزة عن تحقيق العدالة الاجتماعية بين طبقات المواطنين فيها بحيث ادى هذا العجز الى زعزعت النظام الجمهوري ووقوعه تحت رحمة رجال الجيش، المتنفذين ٠لقد انحط عامة الشعب في روما تدريجيا واهينوا واشتدت الفاقة بهم لذلك اهتمت الحكومة بهم وقامت بتوزيع الحنطة عليهم بصورة قانونية وتفشت الرشوة التي كان يمارسها خفية المرشحون للوظائف وقد سنت قوانين لاستئصال هذه العادة ولكنها لم تات بفائدة لان حق التصويت بين الرومان كان محصورا في الذين كان يجوز لهم حضور المحافل السياسية في روما فقط فاذا ماراد او رغب احد في الوصول الى منصب معين كان عليه ان يقدم رشوة الى عدد من اعضاء المجالس لكي يضمن هذه الوظيفة٠ هذا الى جانب ظهور طبقات جديدة في المجتمع الروماني لم تكن موجودة قبل قيام الجمهورية وقد ازدادت اعدادهم بعد الفتوحات الرومانية الاخيرة فتدفقت من جراء الحروب مجموعة اسرى الحروب الى روما وبيع اولئك الاسرى عبيدا في اسواق النخاسة واصبحت حياتهم في روما اشبه بحياة البهائم وكانوا يكوون بالنار لوسمهم فيبقى الوسم علامة ابدية يعرفون بها وكان سادتهم يضعونهم ليلا في ثكنات الحكومة وفي النهار يساقون كالدواب الى حقول اسيادهم فامتلأت روما وصقلية بالعبيد الذين اقلقوا البلاد بالثورات التي كانوا يقومون بها نتيجة المعاملة السيئة الوحشية التي يعاملون بها في مختلف انحاء ايطاليا٠

اما في جنوب صقلية ووسطها فقد تجمع نحو ستين الف من اسرى الحرب الخاضعين لنظام العبودية واعلنوا الثورة على سادتهم الجدد وقتلوهم

واستولوا على المدن والقرى واسسوا حكومة خاصة بهم ، لذلك شرعت روما بارسال جيش يقوده احد القناصل فدامت المعارك سنين عديدة، كما ان اصحاب المزارع الصغيرة من الاحرار انضموا تحت لواء هذه الثورة فاخذو يحرقون المزارع الكبيرة العائدة للاشراف من اصحاب الثروة والنفوذ فكانت ثورة العبيد بداية الشرارة للتخلص من الحكومة الجائرة في روما التي جعلت من ابناء هذه الطبقة الفقيرة وقودا لها في سبيل التوسع بحيث ان عدد نفوس هذه الطبقة قد نقص بمقدار كبير نتيجة تجنيدهم في الخدمة العسكرية وارسالهم الى ساحات القتال من اجل منافع الطبقة الارستقراطية في روما ٠

لذلك فقد تدخل كثير من المدافعين عن هذه الطبقة لحمايتها من الدعوة للخدمة العسكرية بنتيجة معاناة هؤلاء الفلاحين ، لذلك اضطروا للرحيل باعداد كبيرة نحو العاصمة روما تاركين مدنهم ومزارعهم بحيث ادى هذا الرحيل الى قلة اليد العاملة في المزارع واصبحت كثير من اراضي الدولة بورا فتأثر الاقتصاد الروماني الرأسمالي في الزراعة والتجارة وجابه مشاكل خطيرة لم تكن بحسبان الدولة والسبب الرئيسي هو ابتعاد الفلاحين عن اراضيهم نتيجة التعسف الحكومي ضدهم ، لذلك كان الوضع الاقتصادي في ايطاليا يتطلب معالجة جذرية تؤمن للبلاد اقتصاد ا جيدا ٠الا ان المتنفذين في السياسة الايطالية لم يرق لهم اي اصلاح او دعوة للاصلاح الاقتصادي ذلك ان الدولة الرومانية لم تتمكن من اعادة النظر في انظمة مؤسساتها لجعلها تتلائم ومتطلبات الجمهورية التي اصبحت تسيطر على معظم اقاليم البحر المتوسط وظلت هذه الحكومة محتفظة بنظامها القديم منذ تاسيس دولة المدينة في روما، هذا الى جانب ان الطبقات العليا في المجتمع ظلت محتفظة بالامتيازات والمغانم التي حصلت عليها دون ان تنظر الى الطبقات الدنيا التي اصابها الحيف الذي لحق بهم لذلك اصبحت مشكلة صغار الفلاحين من الاحرار هي اهم المشاكل التي عانى منها مجلس الشيوخ الروماني واخطرها ، هذا الى جانب تذمر حلفاء روما تجاه حكومة الجمهورية الذين لم يمنحوا حق التصويت اسوة بسكان روما ولا يسمح لهم باشغال الوظائف الحكومية الى جانب المشاكل الخارجية التي لم تكن تقل خطورة عن المشاكل

الداخلية٠لذلك كان على الحكومة الرومانية ان تضع خطة للحد من الوضع المتأزم في نقطتين:

ـ وضع نظام اصلاحي للاقاليم التابعة للحكومة الرومانية مع وضع نظام داخلي متطور ينظم الامور الادارية للدولة وفق مصلحة الحميع ٠

ـ وضع خطة عسكرية منظمة للحد من الغزوات التي يشنها البرابرة الذين كانوا يهددون الدولة الرومانية في فترات متقطعة ٠

لذلك حاول بعض اعضاء مجلس الشيوخ وضع صيغ جديدة لتوزيع الاراضي على افراد الشعب الا ان مساعيهم باءت بالفشل ٠

غير ان الظروف قد خدمت العامة بعض الشئ عندما ظهر احد الاشراف المعروفين بحبه لوطنه وتجرده عن المصلحة الذاتية فعزم على ان يكون قائدا للعامة ومنقذا لروما من الخراب والفوضى التي عمت البلاد وذلك باعادة المزارعين والفلاحين الى اراضيهم وقد كان هذا الرجل المصلح يدعى **طيباريوس** حفيد القائد الروماني سيبو بطل معركة زاما ضد قرطاجة ، لذلك انتخب نائبا عن العامة فأخذ يلقي الخطب الحماسية على مسامع العامة فيحرضهم على اسيادهم ويعدد لهم المظالم التي وقعت عليهم ، وعرض طيباريوس على مجلس العامة بكونه نائبا مسودة قانون يقضي بوجوب توزيع الاراضي العائدة للدولة من جديد وحماية الفلاحين والمزارعين واعانتهم لذلك فقد كان هذا القانون الذي صاغه طيباريوس اول نصر للعامة خدم فيها ايطاليا ، وبينما كان طيباريوس يجاهد لتنفيذ هذا القانون هجم عليه وعلى اتباعه شرذمة من مرتزقة مجلس الشيوخ الذين كانوا يترصدون له في بناية المجلس فاغتالوه وكان اغتياله اول حادثة ادت الى الثورة والحرب الاهلية ، وجاء هذا الاغتيال ليكون بداية لقرن من الصراع الدموي تقوضت في نهايته دعائم النظام الجمهوري٠وبعد وفاة طيباريوس بعشر سنوات انتخب العامة اخوه **غايوس** في عام ١٢٣ق٠م فكان همه استئناف النزاع من اجل تشريع القانون الذي سنه طيباريوس لحماية الفلاحين الذين لاارض لهم وكذلك مناصبة مجلس الشيوخ العداء

باعتماده على الطبقة العامة من الشعب وشد أزرها ضد تسلط مجلس الشيوخ ، واقترح ان يمنح الحلفاء الايطاليون نفس الحقوق المترتبة للشعب الروماني فكان من نتيجة هذا الاقتراح ان تكون عاقبته وخيمة عليه ، اذ قتل كما قتل اخيه من قبل ٠

لقد انكشفت مساوئ حكم الشيوخ فقام مجلس العامة بسن قانون عين بموجبه قائدا من قبله لكي يحل محل القائد الذي عينه مجلس الشيوخ للقيام بمهمات الحرب الخارجية وكانوا بفعلهم هذا قد استطاعوا من السيطرة على مقاليد الجيش ،وبهذا اعتمد العامة على القوة العسكرية في تنفيذ مشاريعهم الاصلاحية فوقع اختيار العامة على القائد **ماريوس** الذي وضعوا ثقتهم فيه لانه واحد من اولئك الفلاحين الذين يحرثون الارض ولحسن حظ العامة فقد كان جنديا بطلا استطاع ان يصد الغزاة البرابرة من الشمال وبهذا برهن ماريوس على قدرته الحربية والادارية في حماية روما من السقوط فلم يلبث العامة ان اتخذوا الجندية مهنة لهم٠

الا ان الظروف السياسية عصفت بروما نتيجة ثورة الحلفاء الايطاليين بمطالبتهم بحقوقهم الشرعية وتعنت مجلس الشيوخ بعدم منحهم تلك الحقوق ، لذا اعلنت الشعوب الايطالية في اواسط وجنوب ايطاليا الثورة وتأليف دولة جديدة وتنظيم حكومة خاصة بهم متخذين عاصمة جديدة لهم في وسط اقاليمهم ليسهل الوصول اليها من جميع الاطراف التابعة لهم سميت باسم (**ايتاليكا**) عام ٩٠ق٠م

لذلك قرر مجلس الشيوخ الروماني اعطاء الحقوق الرعوية لطالبيها فدخل الايطاليون حضيرة الدولة الرومانية بحيث اصبحت ايطاليا امة متحدة في الحكومة٠وفي هذه الاثناء عينت العامة قائدا لها دفعته الى اسيا الصغرى فحارب هناك وكان هذا القائد يدعى **سلا** الا ان العامة لم يوافقوا على التعيين هذا فشرعوا قانون انتخبوا بموجبه ماريوس للقيادة في الحرب الاسيوية المقبلة لذلك زحف سلا بجيشه على روما واصدر قانونا جديدا يتوجب فيه على مجلس العامة استشارة مجلس الشيوخ قبل الاقدام على

اجراء اي شئ من التدابير لذلك استطاع تثبيت قوة مجلس الشيوخ وخذل العامة وتوجه بعد ذلك الى اسيا الصغرى بعد ان عقد لواء الفوز لمجلس الشيوخ ٠ وما ان غادر سيلا متوجها الى اسيا الصغرى حتى رفع العامة لواء الثورة وكان ماريوس قد عاد الى روما مع جنوده فشرع بمذبحة هائلة قتل فيها كل زعماء مجلس الشيوخ الذين زرعوا بذور العنف والتعسف فقضى على هذه الشرذمة من الطغاة نهائيا وانتخب ماريوس قنصلا لروما ولكنه توفي بعد ايام قليلة فتولى نواب العامة زمام الامر والنهي في روما وبعد ان انهى سيلا مهمته الحربية عاد الى روما منتصرا فقضى على جيش العامة ودخل روما واصبح بقوة جيشه دكتاتورا منفردا فقضى على مجلس العامة نهائيا وجرده من حقوقه وجمع كل السلطات بيده وهكذا كانت نهاية العصر الجمهوري في ايطاليا٠